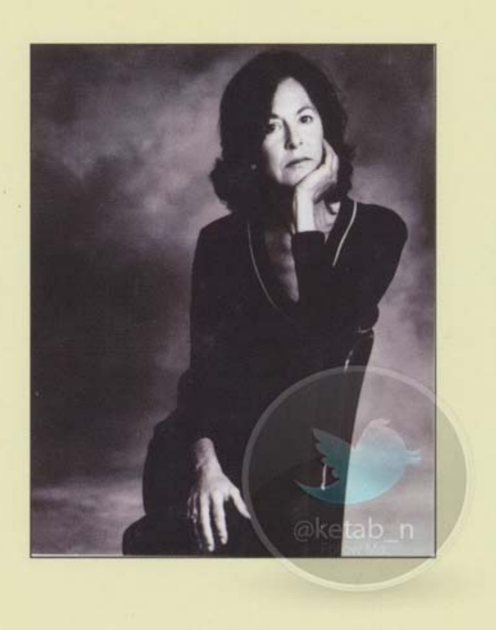
لويز غليك



عجلة مشتعلة تمرّ فوقنا



اختارها وترجمها: سامر أبو هواش

لويز غليك

عجلة مشتعلة تمرّ فوقنا

اختارها وترجمها: سامر أبو هواش



منشورات الجمل

لويز غليك، عجلة مشتعلة تمر فوقنا، شعر

لويز غليك: **عجلة مشتعلة تمرّ فوقنا**، شعر
اختارها وترجمها: سامر أبو هواش، الطبعة الأولى

كلمة، ص.ب: ٢٣٨٠ أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٦٣١٤٤٦٨ ٢ ٩٧١ + ـ فاكس: ٦٣١٤٤٦٢ ٢ ٩٧١ +
www.kalima.ae
منشورات الجمل، ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٦٦٨١١٨ ٠١ (٠٠٩٦١)

Louise Gluck:
A Burning Wheel Passes Over Us

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

لويز غليك Louise Gluck (١٩٤٣-)

«من المتعارف عليه أن علامة الذكاء الشعري أو الصنعة الشعرية هي الشغف باللغة، التي يُعتقد أنها تعني التجاوب المحموم مع أصغر وحدات اللغة: الكلمة. يفترض أن الشاعر هو الشخص الذي لا يشبع من الكلمات المعقّدة. بيد أن تجربتي لم تكن كذلك. منذ سن الرابعة أو الخامسة أو السادسة بدأت بقراءة القصائد، وبدأت أرى الشعراء الذين كنت أقرأ أعمالهم بوصفهم رفاقي وأسلافي - منذ البداية آثرت أبسط المفردات. ما فتنني كان الاحتمالات التي يتيحها السياق الذي توضع فيه المفردة. ما كنت أتجاوب معه، على الصفحة، هو الطريقة التي تستطيع القصيدة من خلالها أن تمارس فعل التحرير، عبر الإطار الذي توضع فيه الكلمة، عبر التوقيت والإيقاع الخفيين... وبدا لي أن اللغة البسيطة تناسب أكثر مثل هذه المغامرة... أحب الوزن لكنني أفضّله خفياً...».

تكاد مثل هذه النظرة إلى الشعر المنطلقة ظاهرياً من البساطة، ولكن القائمة على العمق، تختصر تجربة لويز غليك الشعرية. فهذه الصفة بالذات، أي استعمال الكلمات البسيطة،

في تركيب شعري متكامل، وعبر أداة الإيقاع والموسيقى الخفيين أو غير الرنّانين، لخلق التأثير الشعري، نلاحظه سمة دائمة في شعرها. وما يجري على الشكل يجري أيضاً على المضمون أو يمضي بالتوازي والتكامل معه. تقول غليك: «ما أتشارك به مع شعراء جيلي هو الطموح؛ وما أخالفهم فيه هو تعريف هذا الطموح. لا أعتقد أن الإكثار من المعلومات يصنع دائماً قصيدة ثرية. ما يجذبني هو المضمر، الذي لا يقال، الإيحاء، الصمت المتعمّد البليغ. ما لا يقال في القصيدة يضمر قوة أكبر. غالباً ما أتمنى أن تصنع قصيدة كاملة من هذا التعبير، أي ما لا يقال، فهو يوازي غير المرئي مثلاً، قوة المخرّب، العمل الفني الذي لحق به بعض الخراب أو الذي ليس بكامل. أعمال فنية كهذه تلمح دائماً إلى سياقات أكبر؛ إنها تلازمنا لأنها غير كاملة، وإن كان الكمال متضمناً فيها: زمن آخر، زمن كانت فيه كاملة، أو كانت ستكون كاملة فيه، متضمن فيها. كل التجربة الدنيوية جزئية. ليس ببساطة لأنها ذاتية، لكن لأن ما نجهله، عن الكون، عن الفناء، أوسع بكثير مما نعرفه. ما هو غير منجز أو ما دمّر يعزّز هذه الألغاز. المسألة هي في صنع كامل لا يضحّي بهذه القوة».

هكذا تتحرّك لويز غليك ضمن مجالين يفصل بينهما خيط رفيع غالباً ما تنجح في الحفاظ عليه: مجال العادي، السردي، الأوتوبيوغرافي، اليومي، والواقعي. والمجال الآخر الإيحائي، الملغز، الميتافيزيقي، الخرافي أو الأسطوري. تستعيد أو تستعير الشاعرة مثلاً في «المروج» شخصيتي عوليس وبنيلوب والساحرة تسيريس من «الأوذيسة» لتنسج قصة متعدّدة المستويات حول

الحب والزواج والغياب والرغبة والخيانة والقدر والعودة وفكرة الرحلة وغيرها من معان. لا نحتاج إلى أن نعرف مثلاً أن المجموعة التي تلعب زوجة عوليس فيها، أي بنيلوب، دور الشاعرة، كتبت بعد انفصال غليك نفسها عن زوجها، ذلك أننا سنجد في مجموعتين سابقتين «أرارات» وفي «القزحية المتوحشة»، كما في غيرهما، التوظيف نفسه لعناصر ميثولوجية بما في ذلك «الأوذيسة» التي تحضر كغلالة تطرح من خلالها غليك هواجسها الكثيرة، أيضاً حول العلاقات، الغرامية وسواها، حول الإرث العائلي، الموت، الغياب، وبالطبع الثيمة الأكثر حضوراً عند غليك هي الخسارة أو الفقدان، ليتحوّل اليومي بهذا المعنى، بكل إيحاءاته أحياناً أو بكل فجاجته في أحيان أخرى إلى عملية بحث عما تسميه غليك «ما لا يقال»، ولتتحوّل القصيدة إلى ما يشبه صفحة ماء تبث فيها الشاعرة بعض الاضطراب وتدعنا نتأمل ترقرق الماء عليها.

ولدت لويز إليزابيث غليك (يلفظ هكذا، لا «غلوك») في الثاني من أبريل ١٩٤٣ نيويورك سيتي ونشأت في لونغ آيلاند، وتلقت تعليمها في كلية «ساره لورنس» وجامعة كولومبيا. بين أبرز الشعراء الذين أثّروا في تجربتها الشاعر ستانلي كونيتز الذي درّسها الأدب في كولومبيا، كما تأثرت مباشرة بتجربته الشعرية. عام ١٩٩٢ حصلت على جائزة «بوليتزر» المرموقة عن مجموعتها «القزحية المتوحشة»، كما حصلت قبل ذلك على جائزة «ناشيونال بوك كريتيك سيركل» عن مجموعة «انتصار أخيل» (١٩٨٥). في العام ٢٠٠٣ اختيرت «شاعرة أمريكا المتوجة» بعد

الشاعر بيلي كولينز، كما اختيرت لتحرير «سلسلة يال للشعراء الشباب» بين ٢٠٠٤ و٢٠٠٧.

تدرّس غليك الأدب في «وليامز كولج»، وتعيش حالياً في كامبردج، ماساتشوستس.

أعمالها الشعرية: «البكر» (١٩٦٨)، «البيت في مارشلاند» (١٩٧٥)، «الحديقة» (١٩٧٦)، «وجه يدنو» (١٩٨٠)، «انتصار أخيل» (١٩٨٥)، «أرارات» (١٩٩٠)، «القزحية المتوحشة» (١٩٩٢)، «المجموعات الشعرية الأربع الأولى» (١٩٩٥)، «المروج» (١٩٩٧)، «فيتا نوفا» أو «الحياة الجديدة» (١٩٩٩)، «العصور السبعة» (٢٠٠١)، «أفيرنو» (٢٠٠٦).

كما لها كتاب نظري عن الشعر بعنوان «براهين ونظريات: مقالات في الشعر» (١٩٩٤).

من «المجموعات الشعرية الأربع الأولى»

(١٩٩٥)

سعادة

رجل وامرأة على فراش أبيض
إنه الصباح، أفكّر، وعمّا قليل سيصحوان.
ثمة زنابق على نضد السرير
في مزهرية تغمرها الشمس.
أراه ينقلب نحوها
كأنه، بصمت، سيلفظ اسمها
عميقاً في فمها.
على حافة النافذة،
مرة، ثم مرة أخرى،
يشدو طائر.
ثم ترتعش المرأة؛
جسدها يمتلئ بأنفاسه.

أفتح عينيّ فأجدك تتأمّلني.
فوق حجرتنا
تنساب الشمس.
تقول: انظري إليّ،
وتقرّب وجهك مني
كأنه مرآة.

كم أنت هادئ.
بينما العجلة المشتعلة
تمرّ بسلاسة فوقنا.

بورتريه

ترسم طفلةٌ إطارَ الجسد.
ترسم ما تجيده، الإطار الخارجي فحسب،
أما الباقي فيملؤه البياض،
لا تستطيع الطفلة ملء ما تعلم أنه كائن هناك.
تدرك أمها: داخل خطوط الإطار الهشة
ليس من حياة؛
لقد فصلت بين الاثنين،
وكطفلة تلتفت الآن إلى أمها.
وها أنتِ ترسمينَ القلب
في الفراغ الذي صنعته.

الحديقة

١ . الخوف من الولادة

صوت واحد. ثم هسيس البيوت وأزيزها
بينما تعود إلى مواضعها.
والريح
تجوس أجساد الحيوانات

ما عدا جسدي الذي لم يستطع
الاكتفاء بالصحة، فلماذا يجب أن يعود
إلى شعاع الشمس؟

سيكون نفسه ثانية.
هذ الخوف، هذا الجوهري،
حتى أجبر على العودة إلى الحقل
بغير مناعة
حتى أمام أصغر الشجيرات
التي تخرج متصلبة من الطين،
جارة توقيع جذورها المائل،
حتى أمام زهرة توليب، ومخلب أحمر.

ثم يمكن احتمال جميع الخسارات
واحدة بعد الأخرى.

٢ . الحديقة

تحبك الحديقة
ومن أجلك تلطّخ نفسها بالخضرة،
وبأحمر الورود،
لكي تدخليها مع عشاقك.

أترين كيف أنشأت أشجار الصفصاف
خيم الصمت الخضراء هذه.
لكن ما زال ثمة ما تحتاجين إليه،
جسدك ليّن جداً، حيّ جداً،
بين الحيوانات الحجرية.

اعترفي أنه من الرهيب أن تكوني مثلها
بمنأى عن الأذى.

٣. الخوف من الحب

ذلك الجسد المضطجع بجواري كحجر مطيع،
ذات مرة بدا يفتح عينيه،
وكان يمكن أن نتحادث.

كان قد حلّ الشتاء.
نهاراً ارتفعت الشمس في خوذتها النارية
وفي الليل أيضاً، في انعكاس القمر.
بكلّ حرية مرّ نورها فوقنا
كأننا استلقينا هكذا
لكي لا نخلّف ظلاً،
كنا مجرّد حفرتين في الثلج.
وكالعادة امتدّ الماضي أمامنا،
ساكناً، محتشداً، غير قابل للاختراق.

كم مكثنا هناك
بينما انحدر الآلهة متأبطي الأذرع
واضعين أقنعة من الريش
من الجبل الذي أنشأناه من أجلهم؟

٤ . الأصول

كأنما صوت كان يقول:
يجب أن تكون نائماً الآن،
لكن لم يكن أحد.
ولا أعتم الهواء،
مع أن القمر كان هناك
وكان مليئاً بالرخام.

كأنما في حديقة محتشدة بالزهور
قال صوت:
كم بليدة هذه الأزهار الذهبية،
كم طنانة، كم مكررة،
حتى أغمضت العينين،
واضطجعت بينها
وهي تتمتم النار:

لكنك أيها الجسد المسكين
لم تستطع نوماً،
كانت الأرض ما زالت
متشبثة بك.

٥ . الخوفُ من الدفن

في الحقل الفارغ، صباحاً،
ينتظرُ الجسد أن يُستدعى.
تقبعُ الروح بجواره، على صخرة صغيرة،
لا شيء سيهبها هيئة ثانية.

يفكّر في وحدة الجسد.
يسير ليلاً في الحقل العاري،
ظله ثقيل.
وطويلة هي الرحلة.

والأضواء البعيدة تنبعث مرتعشة من القرية
لا يقفون من أجله بينما يتفرّسون في الصفوف.
كم يبدون بعيدين،
الأبواب الخشب. . .
الخبز والحليب،
تُركت، كأثقال، على الطاولة.

الرسائل

ليل لآخر مرة.
للمرة الأخيرة تمرّ
يداك على جسدي.

غداً خريف.
سنجلس معاً على الشرفة
وننظر إلى الوريقات التي يبست
تحملها الرياح في سماء القرية
كالرسائل التي سنحرقها،
واحدة بعد الأخرى، كلّ في منزله.

كم ساكنة هذه الليلة.
وحده صوتك يتمتم:

إنك مبللة، تريدين ذلك
والطفل في الداخل
نائم كأنما لم يولد بعد.

صباحاً، الخريف.
سنمشي معاً في الحديقة الصغيرة
بين المقاعد الحجرية والشجيرات
التي يغلّفها الضباب،
كأثاث هجر من زمن بعيد.

أنظر كيف أوراق الشجر ترتفع في العتمة.
لقد أحرقنا
كل ما كتبناه عليها.

فرس

ما الذي تقدّمه لك الفرس
ولا يسعني تقديمه لك؟

أراقبك حين، وحيداً،
تمتطيها في الحقل،
وتغوص يداك
في عرفها الأسود.

ثم أدرك سرّ صمتك:
إنه الازدراء، إنه مقتك لي وللزواج.
ورغم ذلك تريدني أن ألمسك؛
تنتحب كعروس، لكن حين أنظر إليك
لا أرى أطفالاً في جسدك.
ماذا فيه إذاً؟

أحسب أن لا شيء سوى استعجالك
الموت قبلي.

رأيتك، في المنام تمتطي الفرس
في الحقول الجافة.
ثم ترجلت: وسرتما معاً؛
أنت والفرس..
لم يكن لك ظلّ في الظلام.
لكنني شعرت أن ظلّك يتجه نحوي
لأنه في الليل يذهب أينما شاء،
إنه سيد نفسه.

أنظر إليّ. أتحسبني لا أفهم؟
إذ ما الحيوان
إن لم يكن معبراً من هذا الحياة؟

أشجار الدردار

حاولتُ، طوال اليوم، أن أميّز
بين الرغبة والحاجة.
والآن، في الظلمة،
يملؤني حزن مرير علينا،
نحن البناؤون، نحّاتو الخشب،
لأنني كنت أحدّق
في هذه الشجرات
ورأيت السياق
الذي يصنع الألم،
شجرة ثابتة في عذاب،
وأدركتُ
أنها لن تتخذ سوى أشكال ملتوية.

المعاتبة

خدعتني يا «إيروس»
حين أرسلتَ إليّ
حبيَ الحقيقي.

صنعت، على هضبة عالية،
نظرته الثاقبة؛
ولم يكن قلبي
صلباً كسهمك.

ما الشاعر بلا أحلام؟
أتمدّد مستيقظة؛
أحسّ لحماً حقيقياً فوقي،
يريد إسكاتي...

في عتمة الخارج،
فوق أشجار الزيتون،
بضع نجمات.

أحسبها إهانة بالغة:
أن أحبّذ المشي
في الممرات المتعرّجة في الحديقة،
قرب النهر
الذي يترقرق بقطرات الزئبق.
أحب الاستلقاء على العشب الرطب قرب النهر،
هاربة يا «إيروس» مع رجال آخرين
ليس باندفاع
لكن بتحفظ وبرود...
لقد عبدتُ، طوال حياتي،
الآلهة الخطأ.
أرى الأشجار
على الضفة الأخرى،
تهتز وتتمايل،
ومثلها السهم في قلبي.

صيف

أتذكر صيف سعادتنا الأولى،
كم كنا قويّين، وكم دوّخنا الشغف،
كيف كنا نضطجع على فراشنا الضيق،
ننام هناك، ونأكل هناك أيضاً:
كان الصيف،
وبدا أن كل شيء أينعَ دفعة واحدة
وكم كنا حارّين في عرينا الكامل.
أحياناً كانت تهبّ ريح
وتربّت صفصافة النافذة.

لكننا كنا ضائعَين نوعاً ما، ألم تشعر بذلك؟
كان السرير أشبه بطوف؛
وأحسستنا نطوف خارج أنفسنا

إلى مكان لن نكتشف فيه شيئاً.
أولاً الشمس، ثم القمر، يظهر في شذرات،
عبر الصفصاف.
أشياء يمكن أن يراها أيّ كان.
ثم أقفلت الدوائر. ببطء صارت الليالي باردة؛
اعترى الاصفرار وريقات الصفصاف
ثم سقطت. وفي كل منا
فُتحت عزلة عميقة،
مع أننا لم نتحدّث عن ذلك،
عن غياب الندم.
كنا بارعَين مرة أخرى، يا زوجي،
واستطعنا استئناف الرحلة.

رجل جالس

كأنما كنتَ على كرسيّ متحرّك
وكانت رجلاك مقطوعتين حتى الركبتين.
لكنني أردتك أن تمشي.
أردتنا أن نمشي كعاشقين
بذراعين متشابكتين في المساء الصيفي،
وآمنت بقوة بإمكانية ذلك
بحيث اضطررت إلى التكلم،
كان عليّ دفعك دفعاً لتقف.
لَمَ تركتني أتكلم؟
فهمت صمتك مثلما فهمت عذاب وجهك،
كجزء من مشقة التحرّك...
يبدو أنني وقفت إلى ما لانهاية، مادة يدي.

وطوال ذلك الوقت لم يكن في مقدورك
شفاء نفسك
مثلما لم يكن في مقدوري
قبول ما رأيت.

العودة

حين رحلتَ
شعرت بالجزع؛
ثم لمسني فتى في الشارع،
كانت عيناه بمستوى عيني،
صافيتين وحزينتين:
دعوته إلى الدخول؛ تكلمت معه
بلغتنا،
لكن يداه كانتا يديك،
وبرقة هائلة نالتا ما أرادتا
ثم لم يكن مهماً
اسم أي منكما كنت أنادي.
إلى هذا الحدّ كان الجرح عميقاً.

قصيدة ليلية

يعرف أنه سيتأذى.
تأتيه النذر إلى سريره
لأن الدعة تهدده:
في الضوء الليلي الباهت
يزعم أنه يحرس الجلد
الذي تتلخّص فيه حياته.
يفرد ذراعيه. على الجدار هيئة مشابهة
تربطه بالظلمة التي لا يمكنه السيطرة عليها.
الظلمة، في أشكالها المتعددة،
تستنبط أعداءه.
لا يمكنه النوم
بعيداً عنهم.

المرآة

أشاهدك في المرآة
متسائلة ما يعني أن يكون امرؤ بهذا الجمال
ولِمَ تحب أن تجرح نفسك أثناء الحلاقة
كرجل أعمى.
أحسب أنك تدعني أحدّق
لكي تنقلب على نفسك بعنف أكبر،
محتاجاً إلى أن تريني كيف تكشط الجلد
بازدراء وبلا تردّد
لكي أراك بشكل صحيح،
كرجل ينزف،
لا لكي أرى
الرجل الذي أحبّه.

أسطورة

جاء جدي إلى نيويورك من «دلوا»:
وتوالت العثرات.
في هنغاريا كان أكاديمياً، صاحب امتياز.
ثم جاء الفشل: صار مهاجراً
يلفّ التبغ في مستودع بارد.

كان مثل يوسف في مصر.
يسير ليلاً في المدينة،
ويتحوّل رذاذ الميناء
دمعاً على وجهه.

دموع الحزن على «دلوا» التي هي أربعون بيتاً
وبضع أبقار ترعى المروج الوفيرة...

يقال إن الروح العظيمة
ليست أكثر من نجمة أو شعاع،
لكنها أكثر شبهاً باللؤلؤ:
إذ ليس في العالم كله
ما هو صلب كفاية ليغيرها.

أيها الكائن التعس، أتوقفت عن الإحساس
بعظمة العالم
التي، كثقل عظيم، كوّنت
روح جدي؟

كانت أحلامه تحلق، كطيور حزينة،
من المعمل إلى «دلوا»، محضونة في مناقيرها
مثلما يرى رجل آثار خطواته
على أرض مبلّلة.

صور مبعثرة، شذرات ضبابية للقرية؛
وبينما يوضّب التبغ، كذلك في روحه
ذاك الثقل يكثّف كسرات «دلوا» ويحولها
إلى مبادئ ومجرّدات
تليق بتحدّي العبودية:

في بلد كهذا، أن تزدري
الامتياز، أن تحب المنطق والعدل،
وأن تقول
الحقيقة دوماً. . .

التي كانت
خلاص شعبنا
ما دام قول الحقيقة
يمنحُ وهم الحرية.

صباح

تستيقظ الفتاة الفاضلة بين ذراعي زوجها،
الذراعان اللتان، طوال الصيف، جعلتهما تتحركان
بلا توقف تحت شجرة الإجاص:
يسرّها كذلك أن تستيقظ عند الشروق،
لترى ثوب الزفاف
متدلياً من ظهر الكرسي،
وعلى المكتب الثقيل قميص رجل مطوي بعناية؛
تستعيد ذكرى ألف صورة؛
الكنيسة نفسها، شمس الخريف
تتدفق عبر النوافذ الملونة،
عبر صورة السيدة العذراء،
وتحتها إميليا تحمل ورود العروس. .
أما بالنسبة إلى دموع أمها، فسخيفة

ومع ذلك تبكي الأمهات في زفاف بناتهن،
الكل يعرف ذلك، لكن شباب من يرثين حقاً..
لا يمكن أن نعرف.
في المأدبة العظيمة هناك دائماً الدخيل،
الغريب المحتفل،
والمهم هنا كم تبدو مختلفة عن أمها.
لم تكن أبعد من الحزن بهذا القدر
مثلما هي الآن. لا تجد داعياً للبكاء،
لكنها كذلك
لا تجد معنى لهذه الكلمة:
الشباب.

حزنُ امرأة بالغة

كنتِ بالغة الحمق وأحببتِ مكاناً واحداً،
وها أنت الآن متشردة،
في سلسلة من دور الأيتام.
لم تحضّري نفسك بشكل كاف.
زوجان يبلغان الشيخوخة أمام ناظريك،
موتان محقّقان.
ليس من أب أبقاه حياً
حبّ طفله له.

الآن، بالطبع، فات الأوان..
علقت في رومانسية الإخلاص.
استمررت بالعودة، متعلقة

بشخصين بالكاد تعرفينهما
بعد كل ما مرّا به.

لو استطعت مرة إنقاذ نفسك!
الآن وقد مر الوقت، صرت عصية
على التغيّر. الآن لا شيء لك،
والبيت مقبرة.
رأيتك تقرّبين وجهك من الشواهد الرخام..
أنت العشب البري
الذي يحاول أن ينبت هناك.
لكنك لن تنبتي،
لن تسمحي لنفسك
أن تطمس شيئاً.

ظلّ صقر

تعانقنا على الطريق
لسبب ما عدت أذكره
ثم حين انفصلنا
رأينا ذلك الظلّ في السماء. . . كم كان قريباً؟
نظرنا إلى أعلى حيث الصقر
يحوم بقنيصته؛
ثم يغيران وجهتهما نحو «وست هيل»،
وظلهما الوحيد على الوحل
يشكّل الهيئة الشاملة للمفترس. . .
ثم اختفيا.
وفكّرت:
ظلهما صار واحداً.
كهذا الظلّ الذي صنعه
عناقنا.

الجبل

ينظر إليّ تلاميذي بترقّب.
أشرح لهم أن حياة الفن
مشقة لا تنتهي. بالكاد تتبدّل
ملامحهم، يريدون أن يعرفوا
المزيد عن هذه المشقة.
لذا أخبرهم قصة «سيزيف»،
وكيف حُكم عليه أن يدفع صخرة
إلى أعلى جبل عالماً أن لا نتيجة
لجهده هذا سوى أنه سيكرره بلانهاية.
أقول لهم ثمة فرح في حياة الفنان
يصعب إدراكه، وبينما أتحدث
أدحرج صخرتي سرّاً،
إلى أعلى الجبل.

لمَ أكذب على هؤلاء الأولاد؟ إنهم لا يصغون،
لم يخدعهم كلامي، وها هم يطرطقون
بأصابعهم على المقاعد الخشبية...
لذا أتراجع عن الخرافة؛
أقول لهم إنها تحدث في الجحيم
وإن الفنان يكذب
لأنه مهووس بالبلوغ،
لأنه يتخيل أن الذروة
ستكون موطنه الأبدي،
مكان على وشك أن يحوله ثقله:
مع كل نفس،
أقف على قمة الجبل.
يداي حرتان.
والصخرة أطالت
قامة الجبل.

السلال

١.

كم جميل:
عجوز في السوق
تحاول اختيار خسّة جيدة،
تزنها بتجرّد
تتفحّص وريقاتها
وحتى أنها تشمها
لتتنشق عبق الأرض
التي من جهة يبقى
بعض أثرها، لا التراب
لكن الجذور، وهكذا
تفاضل بين خسة وأخرى،

لأنها طازجة أكثر: تهزّ
رأسها بسرعة لزوجة البائع،
تعلمها بقرارها،
امرأة عجوز
لكنها صارمة في أحكامها.

٢.

في مركز دائرة العالم
كلب على حافة نبع.
يلعب الأطفال هناك،
وفي ذهابهم إلى القرية وإيابهم منها
يقفون ويحيونه، ثم سرعان ما يفقدون
رغبتهم في اللعب،
في القرية الصغيرة ذات العيدان
المزينة بكسر من الفخار الأزرق،
يقرفصون بجانب الكلب
المقعي على الثرى الحار:
أشعة شمس تتراقص حوله.
الآن، في الحقل البعيد،
ينتهي حدث عظيم.
في مجموعات من اثنين وثلاثة
يلوّح الرياضيون بجسارة بقمصانهم،

ويمضون باسطين قمصانهم
الحمراء والزرقاء، الزرقاء والقرمزية الفاقعة
على الأرض المسطحة،
على الأرض العادية.

٣.

يا الله، يا من وهبني عزلتي،
أرى الشمس تهبط:
الأكشاك خالية في السوق
وبقية الأطفال
يتعاركون عند النبع...
لكن حتى ليلاً، حين لا نرى شيئاً،
فإن جذوة الشمس
لا تزال تسخّن الأرصفة.
لهذا، على الأرض،
تنبت الحياة بوفرة،
لأن الشمس تحتفظ
بدفء ثابت على سطحها.
أيدلّ هذا إلى معنى ما:
أن اللعبة تُستأنف في الثرى،
إله النبع الصغير؛
وأن لا شيء يبقى ثابتاً،
لا ضمان ضدّ الموت...

٤ .

أحمل سلتي إلى السوق النحاسية،
إلى حيث الحشد.
أسألك: كم من الجمال يحتمل المرء؟
إنه أثقل من الدمامة،
بل إن ثقل الفراغ
ليس شيئاً قياساً به.
أقفاص البيض، ثمر الببايا، أكياس الحامض الأصفر...
لست امرأة قوية. لا يسهل عليّ
أن أرغب بهذه القوة،
أو أن أسير
بسلة ثقيلة كهذه،
سواء حملت فيها
القصب أم الصفصاف.

انتصار أخيل

في حكاية باتروكلوس
لا أحد ينجو ولا حتى أخيل
الذي كان شبه إله.
وكان باتروكلوس يشبهه
وكانا يضعان الدرع نفسها.

دائماً في هذه الصداقات
ثمة من يقوم على خدمة الآخر،
من هو أقلّ شأناً من الآخر.
الهرمية ظاهرة دائماً، ومع ذلك
لا يمكن الوثوق بالأساطير...
تلك التي يرويها الناجي،
ذاك الذي تم التخلي عنه.

ما السفن الإغريقية المشتعلة
مقارنة بهذه الخسارة؟

في خيمته بكى أخيل
بكل كينونته
ورأت الآلهة

كان رجلاً ميتاً أصلاً،
ضحية ما أحب في ذاته،
الجزء الخالد منه.

من «ماراثون»

١ . رسالة أخيرة

تجمّدت في مكاني باكية، ثم خرجت إلى الحديقة.
في الحقل، كانت رؤوس الهندباء البرية البيضاء
تشكّل صفوفاً من القديسين،
وها أنا أنحني أمام الروعة. . .
وعند الحافة أرنب جمّد الرعب عينيه.
صمت. طنين أجراس. . .
أنحني على العشب دونما تفكير
كأنني أقبل على الصلاة،
وحين أحاول النهوض ثانية لا أستطيع حراكاً،
تتجمّد رجلاي كلياً. أهكذا يغيرنا الأسى؟
خلَل الشجيرات تلوم البركة.

الشمس تشكّل ثقوباً بيضاء صغيرة على صفحة الماء.
أقف أخيراً، أمشي إلى البركة.
أقف هناك، يحفّ العشب بتنورتي، وأنظر إل نفسي،
كفتاة بعد حبها الأول
تلتفت ببطء إلى مرآة الحمام، عارية، باحثة
عن علامة.
لكن عري النساء تمويه دائم.
لم يطرأ شيء على هيئتي.
سوف لن أتحرّر أبداً.

٢ . أغنية النهر

ذات مرة كنا سعيدين، كنا بلا ذكريات.
فرغم كلّ التكرار لم يحدث شيء مرتين.
كنا دائماً نمشي بموازاة نهر لا يمضي
وكانت الأشجار على الطرف الآخر
أحياناً صفصاف وأحياناً سرو. .
كانت السماء الزرقاء قالباً من زجاج.

بينما في النهر تمضي الأشياء
بعض أوراق الشجر،
زورق مطلي بالأحمر والأبيض،
شراعه مبلل بالمياه. . .

رأينا انعكاسنا على صفحة الماء؛
بدونا ننجرف معاً وعلى حدة

بينما النهر
ربطنا ببعضنا إلى الأبد،
وأمامنا
كان أزواج آخرون ينتخبون التذكارات.

٣. اللقاء

جلستَ على حافة السرير
ورحت تحدّق بي.
ثم قبلتني...
أحسستُ شمعاً حاراً على جبهتي.
أردت أن تترك القبلة أثراً:
هكذا عرفت أنني أحبك.
لأنني أردت أن أحرَق، أن أوصَم،
أن أحظى بشيء في النهاية...
غطيت رأسي بقميص النوم،
تورّد وجهي وكتفاي.
ستتخذ القبلة سبيلها، سبيل النار،
وستحفر دائرة باردة على جبهتي، بين عينيّ.
تمددتَ بجانبي؛
مشت يدك على وجهي
كأنما شعرت بها أيضاً...

لا بدّ من أنك عرفت، عندئذ، كم رغبت فيك.

ستيقّن من ذلك دائماً. أنت وأنا.

سيظلّ جسدي هو البرهان.

٤ . أغنية العقبات

ما أحسّه في جسدي حين يلمسني حبيبي
أشبه بالحركة الأولى لنهر جليدي فوق الأرض،
بينما ينتقل الجليد، مزحزحاً جلاميد كبيرة
من الصخر المهيب:
لذا، تتحوّل أشجار الغابات المقتلعة
بحراً من الأطراف المقطوعة. . .
وحيث تكون المدن تتلاشى أيضاً الحدائق المتنهدة،
كل الشابات اللواتي يأكلن الشوكولا في الفناء ببطء
مبعثرات الزخارف الملونة: ثم، حيث كانت المدينة،
المعدن النفيس، الطلاسم المكتشفة: لذا أرى
أن الجليد أقوى من الصخر، من محض المقاومة.
ثم بالنسبة إلينا، في مروره، لا يمرّ الزمن،
ليس بمقدار برهة حتى.

٥ . أغنية ليلية

أنظر إلى ضوء المصباح .
ألا ترى؟ هذه العتمة الساكنة
هي رعب السماء .

كنا منفصلين من وقت طويل ،
منفصلين بشكل مؤلم جداً .
كيف تحتمل أن تحلم ،
أن تتخلى عن المشاهدة؟
أعتقد أنك تحلم ،
وجهك طافح بالترقّب الحاد .

أحتاج إلى أن أوقظك ، لأذكرك أنه ليس من مستقبل .
لهذا بتنا حرّين . والآن هشاشة ما فيّ
قد شفيت إلى الأبد ، لذا لست مرغمة
على إغماض عيني ، لأعود بالزمن ، لأعدّل شيئاً . . .

الشاطئ ساكن؛ البحر تطهّر من حياته عديمة النفع،
صار صلباً كصخرة. في الهضاب، على الأكوام والحشود النباتية
تنام طيور البحر على الحاجز البحري. نوارس مفترسة...

لقد تعبت؛ يمكنني أن أرى ذلك.
كلانا تعب، لعبنا دراما عظيمة.
حتى أيدينا التي كانت تضطرم صارت باردة.
بيد أنه من الغريب أن ثيابنا المنثورة على الرمل،
لم تتحوّل رماداً.

عليّ أن أخبرك بما تعلّمته،
أنني أعرف الآن
ما يحدث للحالمين.
لا يشعرون بذلك حين يتغيرون.
يستيقظون ذات يوم
يرتدون ثيابهم. ويشعرون بالبرد.

لست بخائف هذه الليلة
لا أحسّ بالاضطراب.
كيف تستطيع أن ترغب بالنوم
حين يمنحك الشغف هذه الدعة؟
أنت مثلي الليلة، أحد المحظوظين.
سيكون لك ما تريد.
ستُمنح السّلوى.

٦ . البداية

جئتُ إلى مدينة غريبة، عارية من كل شيء:
في المنام، كانت مدينتك، وكنت أبحث عنك.
ثم تهتُ في شارع معتم انتشرت على جانبيه أكشاك
الفاكهة.

كان ثمة ثمرة واحدة: البرتقال الدموي
المعروض في الأسواق على بسط رائعة...
كيف يتنافسون بغير ذلك؟ وفي وسط كل رف
برتقالة واحدة شقت إلى نصفين.

ثم وجدتني في إحدى الجادات، تحت الشمس الساطعة.
كنت أركض، كان من السهل أن أركض،
ما دمت عارية من كل شيء.
في البعيد، كان بوسعي أن أرى بيتك؛
امرأة منحنية في الباحة.
زهور في كل مكان؛
تتسلّق العرائش العالية.

ثم ما بدأ حباً لك
تحوّل جوعاً إلى المكان: سمعت النسوة
وكنّ ينادينني برقّة، عارفات أنني
لن أسأل عنك بعد الآن...

سوّي الأمر إذن: استطعت أن أحظى بطفولة هناك.
ما صار يعني أن أكون وحيدة دائماً.

العناق

علمته الآلهة. أكان تعليماً؟
استمرّ بكرهها، لكن في الأمسيات الطويلة
المليئة بالأحاديث الشغوفة،
بينما يستمع، صارت الآلهة حقيقية.
ليس أنها تغيرت.
لم تصبح بشرية أصلية.
في ضوء الموقد تأمل وجهها.
لكنها ترفض أن يلمسها؛
لقد نبذت الحاجة الأصلية.
ثم في العتمة
سيقودها إلى طريق العودة. . .
فوق الأشجار نهضت المدينة بشيء من الروعة
وكل ما هو وحشيّ
صعد إلى السطح.

حلم الحداد

أنام لكي تبقى حياً،
بهذه البساطة.
الأحلام نفسها ليست شيئاً.
ثمة المرض الذي تسيطر عليه،
لا أكثر.

أهرع إليك في الفجر الصيفي،
ليس في العالم الحقيقي، لكن في ذلك المدفون
حيث تنتظر،
بينما الريح فوق الخليج، تلعب به،
منشئة سلاسل رفيعة من الذعر...

ثم يأتي الصباح، باحثاً عن الفريسة.
أتذكر؟ والعالم يذعن.

الليلة الفائتة كانت مختلفة.

أحدهم ضاجعني وأنا مستيقظة؛

حين فتحت عيني

كان الأمر قد انتهى، كلّ الحاجة

انتهت وبذلك عرفت حياتي.

ولبرهة حسبتني

أدخل عتمة الأرض الوطيدة،

متوهّمة أنها تستطيع احتوائي.

وعاء البورسلان

لا يصلح للاستعمال:
على مقعد من العشب،
جسد امرأة مماثل،
لا أستطيع في الضوء
رؤية ما فعله الوقت بها.
تسقط بضع أوراق شجر.
وتفرّق الريح العشب الطويل،
مكونة ممراً لا يفضي.
واليد ترتفع بعفوية
تتحرّك على وجهها
ضائعة كلياً...
العشب يتمايل،
كأنما الحركة

من مظاهر الاسترخاء.

أبيض رمادي على أخضر.

يد من البورسلان

في العشب.

إخلاصاً للجوع

١ . من الضواحي

يعبرون الفناء
وعند الباب الخلفي
تسرّ الأم إذ ترى
كم هما متشابهان، الأب والابنة. . .
أعرف شيئاً عن ذاك الوقت.
البنت الصغيرة تلوّح، متعمدة،
بذراعيها، ضاحكة
ضحكتها الصارخة:

ينبغي أن يبقى سراً، ذلك الصوت.
يعني أنها أدركت

أنه لا يلمسها أبداً.

إنها طفلة؛ يمكنه لمسها

إذا ما أراد.

٢ . الجدة

«غالباً ما كنت أقف على النافذة. . .
كان جدك
شاباً وقتذاك. . .
ينتظر في المساء الباكر. . .»

هذا ما هو المعنى.
أشاهد الهيئة الصغيرة
تتبدل إلى رجل
بينما يتحرك باتجاهها،
الضوء الأخير يرن في شعره.
لا أشكّ بسعادتهما.
وهو يهرول جوعه الشاب،
فخوراً بأنه علمها ذلك:
كانت قبلته على الأرجح
فائقة الحنان. . .

بالطبع، بالطبع. سوى
أنها يمكن أن تكون يده
على فمها أيضاً.

٣. إيروس

أن تكون ذكراً، أن تذهب دوماً
إلى امرأة
وأن تستعاد
إلى اللحم المثقوب:

أفترض أن الذاكرة معلّقة.
والطفلة التي تدفع نفسها
إلى ذراعي أبيها
كأنها أحبته ثانياً. ولا يخبرها أحد
بما تحتاج إلى التعبير عنه.
ثمة نظرة يراها المرء،
والفم يائس على نحو ما...

لأن الرابط
لا يمكن إثباته.

٤ . انحراف

يبدأ بهدوء
في طفلة معينة:
الخوف من الموت،
ثم يتخذ شكل جوع تام،
لأن جسد المرأة قبر
يمتصّ كل شيء.
أتذكر،
ممدة على السرير ليلاً،
ملامسة الثديين الناعمين الناميين،
ملامسة، في الخامسة عشرة،
اللحم المضطرب
الذي يسعني التضحية به
لكي تتحرّر الأطراف
من الإيناع والحيلة:
شعرت بما أشعر به الآن،

وأنا أرصف هذه الكلمات. . . .
إنها الحاجة نفسها إلى الكمال،
الذي بالكاد يشكّل الموت
نتيجته الثانوية.

٥ . أشياء مقدسة

اليوم في الحقل
رأيت البراعم القاسية لشجرة «القرانيا»
ورغبت بالتقاطها،
بأن أجعلها أبدية.
هذه بداية الزهد:
الطفلة التي بلا ذات تفصح عنها،
تأتي إلى الحياة بإنكار...

وقفتُ منفردة بإنجازي هذا،
بالقدرة على تعرية الجسد السفلي،
كإله
لا يوجد في العالم الطبيعي
ما يوازي مآثره.

قطار شيكاغو

طوال الرحلة قبالتي بالكاد تحرّكوا:
السيد ألقى رأسه الحاسر على ذراع المقعد،
بينما غفا الطفل في حضن الأم.
لم يكن هنالك سوى السمّ
الذي يحلّ محلّ الهواء.
ومكثوا هكذا
كأن الشلل الذي يسبق الموت
مسمرهم هناك.
اتجهت السكة جنوباً.
رأيت في منشعب ساقيها...
ذلك القمل المتجذّر في شعر الطفل.

عيد الشكر

في كل غرفة
محاطة بفتى جنوبي ما من جامعة «يال»
كانت أختي الصغرى تغني لحناً من أحد أفلام «فلليني»
وتُجري اتصالات هاتفية
بينما بقيتنا ينقلون حذاءها المهمل من مكان إلى آخر،
أو يجلسون ويحتسون الشراب.
درجة الحرارة في الخارج ٢٩،
وثمة قطة شاردة على باب البيت
تبحث عما تأكله، مخربشة على مستوعب القمامة.
لم يكن من صوت آخر.
بيد أن التحضيرات للعشاء المؤاسي
تقدّمت شيئاً فشيئاً باتجاه الموقد.
كانت أمي تحمل أسياخ الشواء

ورأيت تجاعيد جلدها
كأنما فاتها شبابها،
بينما قطع البصل
غشاوة من الثلج
على الموت المنقضّ.

حياتي قبل الفجر

في الليل أفكّر أحياناً كيف فعلنا ذلك.
كيف التصقت بها كمسمار فولاذي،
وكيف تمدّدت متلهّفة على الملاءة المخطّطة
(التي أحرقتها لاحقاً) ويسعدني دائماً
كما قلت لها بينما أقطّع الخبز المنزلي،
أنها فعلت باستمرار أكثر مما يلزم،
قلت لها عذراً يا حبيبتي
لكنك حصلت على نصيبك
(وجدت لطختها جافة على شعري).
فبكت. لكنّ حتى هذا لا يفسّر الكوابيس:
كيف تندفع من الباب مثلما ينتفخ العجين

صارخة: إنه أنا الحب
وقد عدت أضجّ باللون
بعد كل هذه السنوات.

صورة ساكنة

أبي يحيط تيريز بذراعيه.
عينا تيريز شبه مغمضتين.
أنا، في خريفي الخامس،
أمص إصبعي.
الجوار ينام في أفياء شجرة الزان النحاسية.
ولا واحد منا ينظر أمامه مباشرة.

قبالتنا على العشب
تحت شمس متوهّجة،
تقف أمي وراء الكاميرا.

قصيدة حب

ثمة دائماً ما يمكن صنعه من الألم.
أمك تحيك.
تنسج شالات تتضمن كل تدرّجات الأحمر.
كانت تصنعها لعيد الميلاد، وكانت تمدّك بالدفء
بينما تنتقل هي من زواج إلى آخر، آخذة إياكَ
معها. كيف أمكن أن ينجح ذلك،
حين طوال تلك السنوات خزّنت قلبها الأرمل
كأنما الموتى يعودون.
لا عجب أنك هكذا،
تخاف الدم، نساؤك
جدران متتالية من الطوب.

من «أرارات» (١٩٩٩)

مقدّمة الكورس

جرحتُ من أمد بعيد.
تعلّمت، بعدئذ،
أن أقطع صلتي بالعالم:
سأخبركم بما أردت أن أكونه...
آلة تصغي.
لا شيئاً هامداً، بل راسخاً.
قطعة خشب. حجر.

لَمَ عليّ أن أنهك نفسي في المحاجحة والمجادلة؟
أولئك الذين يتنفّسون على الأسرّة الأخرى
بالكاد يمكن أن يدركوا،
بما أنه تستحيل السيطرة عليهم

كما أيّ حلم...
عبر العميان شاهدت
القمر في السماء الليلية، وكان ينتفخ...

ولدت لهذه المهنة:
أن أكون شاهدة
على الألغاز العظمى.
الآن وقد رأيت الولادة والموت معاً،
أعرف أن الطبيعة السوداء
تقدّم البراهين
لا الألغاز.

فانتازيا

سأخبركم شيئاً: كل يوم
يموت الناس. وهذه بداية فحسب.
كل يوم، في دور العزاء، تولد أرامل جديدة،
وأيتام جدد. يجلسون بأيد مطوية،
محاولين اتخاذ القرارات بشأن حياتهم الجديدة.

ثم ها هم في المقبرة، بعضهم
للمرة الأولى. يرعبهم البكاء،
وأحياناً عدم البكاء. ينحني أحدهم،
يخبرهم عن الخطوة التالية، التي قد تكون
قول بضع كلمات، أحياناً،
إهالة التراب على قبر مفتوح.

وبعد ذلك، يعود الجميع إلى الدار،
الذي يمتلئ بالناس فجأة.
الأرملة تجلس برصانة على كنبة،
ثم يقترب الناس منها،
بعضهم يمسك يدها، وبعضهم يعانقها.
تجد ما تقوله للجميع،
كأن تشكرهم على مجيئهم.

في قلبها، تتمنى أن يرحلوا جميعاً.
تريد العودة إلى المقبرة،
إلى غرفة المستشفى.
تعرف أن هذا مستحيل. لكنه أملها الوحيد،
أمنية العودة إلى الوراء، قليلاً فحسب،
ليس إلى حدّ بداية الزواج،
ليس إلى حدّ القبلة الأولى.

رواية

لا أحد تمكنه كتابة رواية عن هذه العائلة:
هناك الكثير من الشخصيات المتشابهة.
كلها من النساء؛
وليس هناك إلا بطل واحد.

الآن البطل مات.
وكالأصداء، تدوم النساء أكثر؛
فهن أشدّ عزماً.

انطلاقاً من هنا لا شيء يتغيّر:
ليس من حبكة بلا بطل.
في هذا المنزل، حين تقول حبكة فإن ما تعنيه هو قصة حب.

لا يسع النسوة الحراك.
بلى يرتدين ملابسهن، يأكلن، يحافظن على المظاهر.
لكن ليس من حركة. لا تطوّر للشخصيات.

جميعهن عازمات على كبت
نقدهن للبطل. المشكلة أنه
شديد الوهن؛ مشاهده تحدّد
دوره لكن ليس طبيعته.

ربما يفسّر هذا لمَ لم يكن موته متحرّكاً.
أولاً ها هو على رأس المائدة،
حيث يتصوّر أن الحاجة العظمى إليه.
ثم ها هو يحتضر،
على بعد بضعة أقدام،
زوجته تحمل مرآة
تحت فمه.

مذهل كيف يشغلن أنفسهن،
الزوجة والابنتان.
يرتبن المائدة، يحملن الأطباق.
ومن قلب كل واحدة منهن
يبرز خنجر.

يوم شاق

سنة بالتمام مرت منذ وفاة أبي.
العام الفائت كان قيظ. وفي الجنازة
راح الناس يتكلّمون عن الطقس
كم أنه حارّ بالنسبة إلى سبتمبر. كم في غير أوانه.

لكنه بارد هذا العام.
ليس من أحد سوانا الآن، العائلة المباشرة.
في مساكب الزهور،
خرق من البرونز، من النحاس.

أمام البيت ابنة أختي تركب دراجتها الهوائية
مثلما فعلت العام الفائت،
ذهاباً ومجيئاً على الرصيف. ما تريده حقاً
هو تمرير الوقت.

بينما بالنسبة إلى بقيتنا
حياة كاملة ليست بشيء.
ذات يوم أنت فتى أعمى بسن ساقط.
اليوم التالي أنت عجوز يبحث عن الهواء.
يصل الأمر إلى لا شيء، حقاً، بالكاد
هنيهة على الأرض.
ليس جملة. بل نفساً، انقطاع نفس.

عاشقة الأزهار

الجميع في عائلتنا يحب الأزهار.
لهذا القبور غريبة جداً:
لا أزهار، بل عشب برّي فحسب،
وفي الوسط لوحات من الغرانيت،
تمتلئ أحياناً بالأوساخ.
ولكي تنظفها عليك استعمال منديلك.

أما بالنسبة إلى أختي فالأمر مختلف،
إنه هوس. في عطل الأسبوع تجلس على شرفة أمي،
قارئة الكاتالوغات. كل خريف تزرع البصيلات
عند المسكب الحجري المنخفض؛
كل ربيع، تنتظر الأزهار.
لا أحد يناقش الكلفة. من المعلوم
أن أمي تدفع؛ ففي النهاية هذه حديقتها

وكل زهرة تزرع من أجل أبي.
كلتاهما تعتبران البيت قبره الحقيقي.

ليس كل الزهر ينمو في «لونغ آيلاند»
أحياناً يصبح الصيف شديد القيظ؛
أحياناً يخرّب مطر شديد الأزهار.
هكذا ماتت نبتة الخشخاش، بعد يوم واحد فقط،
لأنها شديدة الهشاشة.

ولهذا أمي مستاءة من أختي.
لن تعرف الآن قطّ كم كانت رائعة،
زهرية صافية، بلا بقع سوداء.
هذا يعني
أنها تشعر ثانية بالحرمان.

لكن بالنسبة إلى أختي فإن هذا شرط الحب.
كانت ابنة أبي:
وجه الحب، بالنسبة إليها،
هو الوجه الذي يشيح عنك.

أرملتان

أمي تلعب «الباصرة» مع خالتي،
إنها التسلية التقليدية في العائلة،
اللعبة التي علّمتها جدتي لجميع بناتها،

إنه منتصف الصيف: لا أخرج بسبب شدّة القيظ.
اليوم خالتي متقّدمة على أمي: تحصل على جميع
الأوراق الرابحة.
أمي تتباطأ، لديها مشكلة في التركيز.
لا تستطيع الاعتياد على سريرها هذا الصيف.
لم تكن لديها مشكلة الصيف الفائت،
بعد أن اعتادت النوم على الأرض.
تعلّمت النوم هناك لتكون بجوار أبي.
كان يحتضر؛ وحصل على فراش خاص.

خالتي لا تتهاون البتة مع أمي؛
لا تكترث لتعبها.
هكذا تربيتا: فأنت تظهر احترامك للآخر بالاستمرار في القتال،
أما التهاون معه فيعدّ إهانة.

كل واحدة تضع رزمة من الورق إلى يمينها،
وتحمل خمس أوراق في يدها.
من الجيد البقاء في الداخل هكذا،
بعيداً عن الحرّ.
وهذا أفضل من ألعاب أخرى، أفضل من «السوليتير».

جدتي فكّرت مسبقاً؛ حضّرت بناتها لما سيأتي.
لديهن الورق؛ ولديهن بعضهن بعضاً.
لا يحتجن إلى أي صحبة أخرى.

طوال العصرية يستمر اللعب لكن الشمس لا تتزحزح.
تستمر بضرب الأرض، محولة العشب إلى الأصفر.
لابدّ من أن أمي شعرت كذلك.
ثم فجأة ينتهي شيء ما.

خالتي تمارس هذه اللعبة قبل أمي،
لذلك ربما هي أفضل منها.
أوراقها تتبخر: هذا ما تريده، هذا الهدف؛
في النهاية
من لا يبقى معه شيء..
يفوز.

اعتراف

أكذب إذا قلت
إنني لا أعرف الخوف.
أخاف المرض، الإذلال.
ومثل الجميع، لديّ أحلامي
لكنني تعلمت إخفاءها،
تعلّمت حماية نفسي من الامتلاء:
كل سعادة تجلب غضب الأقدار.
الأقدار شقيقات متوحشات...
في نهاية المطاف،
العاطفة الوحيدة لديهن
هي الحسد.

جبل أرارات

ليس ثمة ما يثير الحزن أكثر من حزن أختي
سوى حزن ابنة خالتي الواقفة بجوارها.
أما أمي وخالتي فحتى اليوم لا يمكنني النظر إليهما،
مع أنني ما عدت أحاول تجنّب رؤية آلامهما،
يبدو أنه قدر العائلة: كل فرع يتبرّع بطفلة
لهذه الأرض.

في جيلي نؤجّل الزواج والإنجاب،
وحين نقرّر الإنجاب فولداً واحداً
غالباً ما يكون صبياً.

لا نناقش هذا الأمر بتاتاً.
لكن من المريح دائماً دفن شخص بالغ،
شخص بعيد كأبي.
إنها إشارة إلى أن الدين سدّد أخيراً.

في الحقيقية لا أحد يصدّق هذا.
كالأرض نفسها، كل حجر فيها
مكرّس لإله يهودي
لا يتردّد
في فصل طفل عن أمه.

قشتالة

براعم البرتقال تملأ سماء قشتالة
أطفال يتسولون القروش

التقيت حبيبي تحت شجرة برتقال
أم لعلها كانت شجرة أكاسيا،
أم لعله لم يكن حبيبي؟

قرأت هذا، ثم حلمته:
أيمكن الاستيقاظ أن يسترجع ما حدث معي؟
أجراس سان ميغيل
ترن في البعيد
شعره في الظلال أشقر على بياض.

حلمت هذا،
أهذا يعني أنه لم يحدث؟
أينبغي أن يحدث في العالم ليكون حقيقياً؟

حلمت بكل شيء،
صارت القصة قصتي:

يتمدّد بجانبي،
يدي ترعى على جلد كتفه.

منتصف النهار، ثم بداية المساء:
في البعيد صوت قطار

لكنه لم يكن العالم:
في العالم، يحدث الشيء بصورة أخيرة، مطلقة،
لا يستطيع العقل إبطالها.

قشتالة: راهبات يهرعن أزواجاً عبر الحديقة المظلمة.
خارج أسوار «الملائكة المقدّسين»
أطفال يتسولون القطع المعدنية

حين استيقظت كنت أبكي،
أليس لهذا أي أثر واقعي؟

التقيت حبيبي تحت شجرة برتقال:
نسيت
الوقائع فحسب، ليس الدلالات...
كان ثمة أطفال يبكون في مكان ما،
يتسولون القروش

حلمت بكل شيء،
كنت مستسلمة كلياً
طوال الوقت

ثم أعادنا القطار
أولاً إلى مدريد
ثم إلى إقليم الباسك.

الذكرى الأولى

جُرحت منذ زمن بعيد. عشت
لأنتقم لنفسي
من أبي، ليس لما كانه،
بل لما كنته: منذ بداية الزمن،
في الطفولة، حسبت الألم
يعني
أنني لم أُحَب.
يعني أنني أحببت.

قدّيستان

كان ثمة قديستان في عائلتنا:
خالتي وجدتي.
لكنهما عاشتا حياتين مختلفتين.

كانت جدتي رقيقة، حتى عند النهاية.
كانت كشخص يمشي على مياه صافية؛
لسبب ما لم يكن البحر قادراً على أذيتها.
حين سلكت خالتي الدرب نفسها،
تكسرت الأمواج فوقها، انقضّت عليها،
هكذا تردّ الطبيعة
على طبيعة روحية حقاً.

كانت جدتي حذرة، متحفظة:
لهذا نجت من العذاب.
خالتي لم تفر من شيء؛
كلما تقهقر البحر،
سلبها أحد أحبائها.

بيد أنها لم تعتبر البحر شرّيراً.
بالنسبة إليها، هو ما هو:
كلما لامس اليابسة صار عنيفاً.

الشرفة

كانت ليلة كهذه، في نهاية الصيف.

أذكر، استأجرنا غرفة مع شرفة.
كم بقينا هناك؟ خمسة أيام، ربما.. لا أكثر.

حتى حين لم نكن نتلامس كنا نمارس الحب.
كنا نقف على الشرفة الصغيرة في الليل الصيفي.
وتصلنا من بعيد أصوات حياة بشرية.

كنا سنتوّج ملكين عما قريب،
وكنا سنكون طيبين مع رعايانا.
تحتنا مباشرة صوت مذياع،
نغمة لم نكن نعرفها وقتذاك.

أحدهم يموت من الحب.
أحدهم سلبه الزمن سعادته الوحيدة،
وبات وحيداً الآن،
معدماً، بغير جمال.

نغمات جياشة لحزن لا يحتمل، لعزلة وجزع،
ما يكاد يكون مستحيلاً تكبّده
من نغمات بطيئة لشخصين يصعدان
من المياه المظلمة كنشوة.

خطأ صغير كهذا. وبعد كل هذه السنوات،
مثل هول ما بقي من تلك الليلة،
من الساعات التي أمضيناها في تلك الغرفة.

الهدهدات

أمي خبيرة في أمر واحد:
إرسال من تحب إلى العالم الآخر.
أولئك الصغار، الأطفال
تهدهدهم همساً أو غناء.
لا أعرف ما فعلت لأبي؛
أياً يكن، فأنا واثقة من أنه كان صحيحاً.

لا فرق حقاً بين تحضير شخص
للنوم أو الموت. الهدهدات - الكل يقولون
لا تجزعي، هكذا يعيدون صياغة
نبض قلب الأم.
فالأحياء الآن يهدأون على مهل؛
وحدهم المحتضرون لا يسعهم ذلك، يرفضون.

المحتضرون كالمغازل التي تدور بسرعة شديدة
حتى لتبدو هامدة.
ثم يتفرّقون: بين ذراعي أمي،
كانت أختي غيمة من الذرات، من الجزيئات،
وهذا هو الفرق.
حين يكون الطفل نائماً يظلّ كاملاً.

أمي رأت الموت؛ لا تتكلم عن سلامة الروح.
لقد حملت طفلة، وعجوزاً، كما بالمقارنة العتمة تنمو
صلبة حولهما، أخيراً تتحول تربة.

الروح ككل المواد.
لماذا يجدر أن تبقى سليمة،
أن تبقى وفية لشكلها الواحد،
حينما بوسعها أن تبقى حرة؟

ثلج

نهاية ديسمبر: أنا وأبي
ذاهبين إلى نيويورك، إلى السيرك.
يضعني على كتفيه
في الريح العاتية:
قصاصات من الورق الأبيض
تطير فوق السكة الحديد.

كان أبي يحب أن يحملني هكذا،
بحيث لا يراني.
أتذكر
كنت أنظر أمامي

إلى العالم الذي يراه أبي:
كنت أتعلم كيف أستوعب فراغه،
الثلج الثقيل لا يهطل.
يحوم حولنا.

من «القزحية المتوحشة»

(١٩٩٠)

الزنابق البيضاء

كما يشكّل رجل وامرأة
حديقة أشبه بفراش من النجوم بينهما،
يتسكّعان هنا في المساء الصيفي
ويصير المساء بارداً بمحض رعبهما:
وقد ينتهي هذا كله،
الزنابق البيضاء قادرة على التدمير.
كل شيء، كل شيء يمكن خسرانه،
عبثاً ترتفع الأعمدة الضيقة في الهواء العابق،
وأبعد
بحر هائج من الخشخاش.

صه يا حبيبي.

لا يهمّني كم صيفاً سأعيش لأرجع:

في هذا الصيف وحده دخلنا الخلود.

شعرت بيديك الاثنتين

تدفنانني وتطلقان روعته.

الزنبقة الذهبية

أرى أنني أحتضر الآن
وأعرف أنني لن أنطق ثانية،
لن أصمد في التربة، أستدعى
لن أستدعى منها ثانية،
لست زهرة بعد،
ما زلت شوكة ينشب الوحل البارد بأضلاعي
وأناديك يا أبي ويا سيدي:
جميع الرفقة حولي خاب أملهم،
يحسبونك لا ترى.
كيف يمكنهم أن يعرفوا أنك ترى
ما لم تخلّصنا؟

أأنت قريب كفاية في الغروب الصيفي،
لتسمع هلع طفلتك؟
أم لستَ أبي،
لست الرجل الذي ربّاني؟

الزنبقة الفضية

صارت الليالي باردة،
وصامتة من جديد،
كليالي بداية الربيع.
أيدخل الكلام اضطراباً إلى قلبك؟
إننا وحيدان الآن؛
ليس ما يدعونا إلى الصمت.

أترى القمر المكتمل فوق الحديقة.
أنا لن أرى القمر التالي.

في الربيع، حين يشرق القمر،
يكون الزمن لا نهائياً.
زهر الثلج يتفتح ويقفل،

بذور القيقب تحتشد فوق بعضها، أبيض على أبيض،
والقمر يشرق فوق البتولا.
وعند منحنى النهر حيث تنقسم الشجرة،
أولى وريقات النرجس، في ضوء القمر،
فضي ناعم مائل إلى الخضرة.

قد قطعنا درباً طويلة معاً نحو النهاية،
فلا نخشى النهاية. في تلك الليالي،
لا أعود واثقة حتى مما تعنيه النهاية.
وأنتِ يا من كنت بصحبة رجل...

بعد الصرخات الأولى
أوليس الفرح، كالخوف، بلا صوت؟

الجرو الأحمر

إنني بلا عقل،
وهذا رائع.
المشاعر:
آه، أملكها؛
تهيمن عليّ المشاعر.
لدي سيّد في السماء
يدعى الشمس
أشرّع له نفسي
أريه نيران قلبي،
النيران التي تماثل حضوره.
ماذا يمكن أن نسمّي هذا المجد
إن لم يكن قلباً؟ آه يا إخوتي وأخواتي،
أكنتم مثلي يوماً، منذ زمن سحيق،

قبل أن تصيروا بشراً؟
أشرّعتم أنفسكم مرة،
وأبت أن تشرّع ثانية؟
لأنني في الحقيقة
أتكلم الآن مثلكم.
أتكلّم
لأنني مهشّم مثلكم.

القزحية المتوحشة

في نهاية عذابي
كان باب.

اسمعني: ذاك الذي تسميه موتاً
أذكره.

ضجيج في الأعلى، أغصان الصنوبر تتململ.
ثم لا شيء. الشمس الباهتة
تتلألأ على السطح الجاف.

من الرهيب العيش
بينما الوعي
قابع في ظلمة الأرض.

ثم انتهى: ذاك الذي كنت تخشاه،
أن تصبح روحاً عاجزة عن النطق
أن تنتهي بسرعة، الأرض الصلبة
تميل قليلاً. وما أحسبه طيوراً
يمرّ سريعاً في أسراب، صغيرة.

أنت الذي لا تذكر
عبورك من العالم الآخر
أقول لك يسعني التكلم ثانية:
كلّ ما يعود من النسيان
يرجع ليعثر على صوت:

من مركز حياتي انبثق
نبع عظيم، ظلال بالغة الزرقة
في بحر لازوردي.

تهويدة

آن وقت أن تستريحي
حصلت حالياً على ما يكفي من الإثارة.

الغروب ثم أول المساء. ذباب سراج الليل
يلمع في أرجاء الغرفة، هنا وهناك،
وعذوبة الصيف العميقة تملأ النافذة المشرعة.

لا تشغل نفسك بهذه الأمور.
استمع إلى تنفّسي، إلى تنفّسك،
كذباب السراج، كل نفس صغير
لهب يظهر فيه العالم.

في ليل الصيف غنيت لك بما فيه الكفاية.
وقد ربحتك في النهاية؛
لا يستطيع العالم منحك
هذه الرؤية المثابرة.

ينبغي أن أعلمك أن تحبني.
ينبغي تعليم البشر
أن يعشقوا
الصمت والعتمة.

صلوات مسائية

تسمح لي، في غيابك المديد، باستعمال الحقل،
متوقعاً بعض العائد من استثمارك هذا.
يجب أن أبلغك أنني أخفقت في المهمة،
لا سيما في ما يخصّ شتلات الطماطم.
أحسب أنه لا ينبغي تشجيعي على زرع الطماطم
أو، إذا كنتُ سأفعل، فعليك أن تحبس الأمطار الغزيرة
والليالي الباردة التي تسود غالباً هنا،
بينما في أمكنة أخرى
يحصل الناس على اثني عشر أسبوعاً من الصيف.
كل هذا ملكك: من جهة أخرى،
غرست الشتول، ورأيت أولى البراعم
مثل أجنحة تخترق التربة،
وكان قلبي الذي أفسدته الآفة، البقعة السوداء

التي انتشرت سريعاً بين الشتول.
أشكّ في أنك تملك قلباً، بحسب فهمنا المشترك
لهذه الكلمة. أنت الذي لا تميّز
بين الأموات والأحياء، الذي كنتيجة لذلك
صرت منيعاً ضد النذور، قد لا تعرف
كم من الهلع نعاني، الأوراق المبقعة
أوراق القيقب الحمراء تسقط
حتى في أغسطس، في العتمة المبكرة:
أنا المسؤولة عن هذه النباتات.

صلوات منتصف الليل

أتريد أن تعرف كيف أمضي وقتي؟
أمشي في الحديقة،
زاعمة أنني أشذّب العشب.
لكن يجب أن أقول لك
ليس هذا ما أفعله البتة.
لا أجثم على ركبتي لكي أنتزع الأوراق من الشتول:
في الواقع إنني أبحث عن الشجاعة،
عن دليل ما
على أن حياتي ستتغير،
مع أن هذا يتطلب زمناً لا ينتهي،
وأنا أبحث في كل شتلة
عن الورقة الرمزية،
وعما قريب سينتهي الصيف،

وقد بدأت الأوراق بالتبدّل،
دائماً الأشجار المريضة تكون البادئة،
المحتضرة تتحول إلى الأثر الناصع،
بينما بعض الطيور السوداء
يقرع ناقوس منع التجوال.
تريد أن ترى يديّ؟
إنهما فارغتان الآن كالنوتة الأولى.
أم أن الفكرة كانت دائماً
أن نستمرّ بغير إشارة؟

ريح متقهقرة

حين صنعتكم أحببتكم.
والآن أشفق عليكم.

منحتكم كل ما تحتاجون إليه:
الأرض فراشاً، والهواء الأزرق دثاراً.

بينما أزداد بعداً عنكم
أراكم بوضوح أكبر.
يجدر أن تكون أرواحكم أكثر وفرة الآن،
وليس ما هي عليه،
أشياء صغيرة تتكلم...

منحتكم جميع الهبات،
أزرق الصباح الربيعي،
وقتاً لم تجيدوا استعماله،
أردتم المزيد، الهبة الوحيدة
التي أبقيتها لمخلوق آخر.

مهما أملتم
لن تجدوا أنفسكم في الحديقة،
بين النباتات النامية.
حيواتكم ليست دائرية مثلها.

حيواتكم تحليق طائر
يبدأ وينتهي بالسكون...
يبدأ وينتهي في شكل يردّد صدى
هذا القوس الممتدّ
من البتولا البيضاء
إلى شجرة التفاح.

زهرة الثلج

أتعلمون ماذا كنت، كيف عشت؟ تعلمون
ماهية اليأس؛ إذن يجدر أن يكون للشتاء
معنى عندكم.

لم أحسبني أعيش.
الأرض سحقتني. لم أحسبني
أصحو ثانية، لأشعر
في التربة الرطبة جسدي
قادرة على الاستجابة من جديد،
متذكرة كيف أتفتّح ثانية
في ضوء أول الربيع
البارد...

خائفة، بلى، لكن بينكم ثانية
أبكي، أجل، أجازف بالفرح

في الريح الباردة للعالم الجديد.

من «المروج» (١٩٩٧)

أمسية هادئة

تجرّني من يدي، ثم نصبح وحدنا
في الغابة القاتلة. تقريباً على الفور
نصبح في منزل؛ أنشأه نوح ثم رحل؛
ياسمين البرّ يزهر فجأة بعد عشر سنوات
زهراً أبيض.

أكثر ما أحبه في هذا العالم
الأمسيات التي نكون فيها معاً،
أمسيات الصيف الهادئة
حين لا يزال ضوء في السماء.

إذن أمسكت بنيلوب يد عوليس،
لا لتثنيه عن الرحيل
لكن لتطبع هذه الدعة في ذاكرته:

من الآن فصاعداً، الصمت الذي تتنقّل فيه
هو صوتي الذي يسعى وراءك.

حفل استقبال

ما عدت أحب الأرضي شوكي
منذ توقفت عن تناول الزبدة.
أما «نبات الشمّار»
فلم أحبه قطّ.

لطالما كرهت فيك ذلك:
رفضك استقبال الناس في البيت.
فلوبير كان لديه أصدقاء أكثر منك
وفلوبير كان شبه ناسك.

فلوبير كان مجنوناً:
عاش مع أمه.

العيش معك أشبه بالعيش
في مدرسة داخلية:
الدجاج يوم الاثنين، السمك يوم الثلاثاء.

لديّ صداقات عميقة
لدي صداقات أخرى
مع نسّاك آخرين.

لَمَ تسمي هذا تصلباً؟
لم لا تسميه حباً بالاستقبال؟
أم أن شغفك بالجمال
يُشبع كلياً بشخصك أنت؟

شيء آخر: سمّي لي شخصاً سواك
لا يحب الأثاث.

نتناول السمك الثلاثاء
لأنه يكون طازجاً.
لو كنت أقود السيارة
لكنا تناولناه في أيام أخرى.

إذا كنت تريد مثالاً
فجرّب ستيفنز. ستيفنز لم يحبّ
السفر قطّ؛ هذا لا يعني
أنه لم يعرف المتعة.

ربما عرف المتعة،
لكن ليس الفرح.
في المرة القادمة
حين تحضّر الأرضي شوكي
حضّرها لنفسك.

أمثولة الملك

ناظراً إلى الأفق لم يرَ الملك العظيم القدر،
بل رأى ببساطة ضوء الفجر
يتلألأ فوق جزيرة مجهولة:
وكملك فكّر في الضروري،
من الأفضل عدم التفكّير مرّتين في الاتجاه،
من الأفضل السير قدماً
فوق المياه المترقرقة. على أي حال،
ما القدر إلا استراتجية
لإنكار التاريخ بمعضلاته الأخلاقية،
طريقة في إجلال الحاضر
الذي تتخذ فيه القرارات،
الصلة الضرورية بين الماضي (صور
الملك كأمير شاب) والمستقبل المجيد (صور

السبايا). أياً يكن ما ينتظر قدماً،
لمَ كان يجب أن يكون مخادعاً إلى هذا الحدّ؟
من كان ليعرف أنها لم تكن الشمس الاعتيادية
بل ألسنة لهب تضطرم
فوق عالم
موشك على الانقراض؟

ليلة بلا قمر

سيدة تنتحب وراء نافذة مظلمة.
أعلينا تحديد السبب؟ ألا يمكننا ببساطة القول
إنها مسألة شخصية؟ إنه أول الصيف؛
في المنزل المجاور الأضواء تمارس موسيقى «كليزمر»
ليلة جميلة: الكلارينت مدوزن جيداً.

في ما يخص السيدة، ستنتظر إلى الأبد؛
ليس من جدوى من مراقبتها أكثر.
بعد قليل تنطفئ إنارة الشارع.

لكن هل الانتظار إلى الأبد
هو الجواب دائماً؟ لا شيء
هو الجواب دائماً؛ الجواب
يعتمد على القصة.

يا له من خطأ أن نؤثر الوضوح
على ما عداه. إذ ما أهمية
ليلة واحدة، خصوصاً ليلة كهذه
أشرفت الآن على الانتهاء؟
من جهة أخرى قد يكون أيّ سبب آخر،
كل بهجة العالم، انطفاء النجوم،
تحوّل عامود الإنارة إلى موقف حافلات.

المروج

أتمنى لو نذهب في نزهات
مثل ستيفن وكاثي؛ عندئذ
سنكون سعيدين. يمكنك أن ترى
السعادة بادية حتى على الكلب.

لا كلب لدينا.
لدينا هرّ عدواني.

أظن أن «سام» ذكي:
يكره كونه حيواناً أليفاً.

لماذا دائماً تقول «عائلة»؟
ألا نستطيع أن نكون مجرد شخصين بالغين؟

انظر إلى سعادة كلبهما «كابتن»،
انظر إلى مدى انسجامه مع العالم. ألا يعجبك
كيف يقعي على المرجة محدقاً بالطيور في الأعلى؟
يحسب أنها لا تراه لأنه أبيض.

أتعرف سرّ سعادتهما؟ أنهما
يصحبان الأطفال في نزهات. أتعرف
لماذا يصحبان الأطفال في نزهات؟
لأن لديهما أطفال.

ليسا مثلنا البتة؛ لا يسافران كثيراً.
ولهذا لديهما كلب.

ألاحظت ابنتهما «مليسا» وكيف تعود من النزهات
حاملة شيئاً بيدها؟
كيف تحضر الطبيعة إلى البيت؟
أزهار في الربيع. أغصان في الشتاء.

أراهن أنهما سيظلان يصحبان الكلب
حين يكبر الأولاد.
إنه كلب صغير، جرو عملياً.

إذا لم نكن نأمل
أن يتبعنا «سام» تلقائياً،
ألا يمكننا اصطحابه معنا؟
ألا يمكنك أن تحمله؟

حزن تسيرس

في النهاية فعلت ما تفعله الآلهة
وأظهرت نفسي لزوجتك
في منزلها في إيثاكا،
جئت صوتاً بلا جسد:
توقفت برهة عن الغزل
والتفتت يميناً ويساراً
مع أنه كان يستحيل تعقّب
مصدر الصوت:
أشكّ أنها ستعود إلى المغزل
بما باتت تعرفه الآن.
حين تراها ثانية، قل لها
هكذا تقول الآلهة وداعاً:
إذا سكنت رأسها إلى الأبد
سكنت حياتك إلى الأبد.

قرار عوليس

الرجل العظيم يدير ظهره للجزيرة.
الآن لن يكون في الفردوس
ولن يسمع مجدداً موسيقى الفردوس
بين أشجار الزيتون،
عند البرك الصافية تحت السروات.

الزمن يبدأ الآن، ويسمع ثانية
ذلك النبض الذي هو كلام البحر،
أو الفجر في أقوى اندفاعاته.
ما جاء بنا إلى هنا سيحملنا بعيداً؛
سفينتنا تتأرجح في المرفأ.

الآن انتهت اللعنة
أعد إليه حياته،
وبحراً لا يمضي إلا قدماً.

أمثولة الحيوان

الهرّ يدور في المطبخ
ممسكاً بأسنانه العصفور الميت،
ملكيته الجديدة.

يجدر أن يناقشه أحدهم
وهو يتفحّص العصفور الرخو:

في هذا المنزل
لا نطبّق مشيئتنا بهذه الطريقة.

قل ذلك للحيوان
الذي يغرز الآن أنيابه
في لحم حيوان آخر.

منتصف الليل

كلّميني أيتها القلب المتألم:
أي مهمة خرقاء تخترعينها لنفسك
ببكائك هذا في الكاراج المعتم
حاملة كيس القمامة:
ليست مهمتك رمي القمامة،
بل إفراغ المغسلة. إنك تتظاهرين ثانية
تماماً مثلما كنت تفعلين في طفولتك،
أين هي روحك الرياضية، أين برودك العاطفي
وسخريتك الشهيرة؟ بعض شعاع القمر يرتطم
بالنافذة المكسورة، شعاع قمر صيفي رقيق
يتمتم على الأرض عذوبتها الجاهزة،
أهكذا تتواصلين مع زوجك؟
بألا تجيبي على اتصالاته،

أم هكذا يتصرّف قلبك حين يحزن:
يريد أن يكون وحيداً مع القمامة؟
لو كنت مكانك لفكرت في المستقبل.
بعد خمسة عشر عاماً،
قد يتعب صوته؛
ذات ليلة
إذا لم تجيبي،
فستفعل امرأة سواك.

السيرانه[1]

ابتليت بالذنب حين وقعت في الحب.
قبل ذلك كنت نادلة.

لم أرد مرافقتك إلى شيكاغو.
أردت أن أتزوجك.
أردت أن تتعذّب زوجتك.

أردت أن تكون حياتها مسرحية
كل الأدوار فيها أدوار حزينة.

---

(١) في الميثولوجيا الإغريقية السيرانه هي واحدة من مجموعة كائنات أسطورية لها رؤوس نساء وأجساد طيور كانت تسحر الملاحين بغنائها فتوردهم موارد الهلاك.

أيفكّر شخص صالح
على هذا النحو؟
أستحقّ الثناء على شجاعتي. . .

جلست في عتمة شرفتك.
كان كل شيء واضحاً لي:
إذا رفضت زوجتك تحريرك
فهذا يبرهن أنها لا تحبّك.
إذا كانت تحبك
أفلا تريد السعادة لك؟

بتّ أظن
أنني لو كنت أقل إحساساً
لكنت شخصاً أفضل.
كنتُ نادلة بارعة.
كنت أحمل ثمانية طلبات معاً.

كنت أروي لك أحلامي.
ليلة أمس حلمت بامرأة تجلس
في حافلة مظلمة...
وكانت تبكي، وكان القطار
يمضي بعيداً. وكِانت تلوّح بيد
وبالأخرى تربّت قفصاً من البيض
مليئاً بالأطفال.

في هذا الحلم لا تجد المرأة الخلاص.

عناد بنيلوب

طائر يقف على النافذة.
نخطئ إذ نعتبر الطيور طيوراً،
إذ غالباً ما تكون رسلاً.
لهذا ما أن يهبط الحمام
على عتبة النافذة حتى يقف ساكناً تماماً،
كأنه يحاكي الصبر، رافعاً رأسه ليشدو منذراً:
«أيتها المسكينة، أيتها المسكينة»،
ثم يطير كغمامة سوداء إلى أشجار الزيتون.
لكن من يمكن أن يرسل كائناً خفيفاً إلى هذا الحدّ
ليقيّم حياتي؟
أفكاري عميقة وذاكرتي طويلة؛
لماذا أحسد حرية كهذه

حين أملك كل ما هو بشري؟

أولئك الذين تخفق في صدورهم أصغر القلوب

يملكون الحرية الأكبر.

الحلم

رأيت مناماً في غاية الغرابة. رأيتنا متزوجَين ثانية.

في المنام تكلمت كثيراً. ظللت تقول: «هذا واقعي».
حين صحوت رحت أقرأ دفاتر يومياتي القديمة.

كنت أظن أنك تكره كتابة اليوميات.

أقرأها حين أكون تعيسة. على أي حال،
طوال تلك السنوات كنت أحسبنا سعيدَين
فاحتفظت بكل هذه الدفاتر.

أتفكّر في الأمر؟
أتتساءل إذا كان الأمر برمته مجرد غلطة؟

في الواقع نصف المدعوين في الزفاف قالوا إنني
سأخبرك شيئاً لم أخبرك به من قبل:
أخذت حبة فاليوم تلك الليلة.

أتذكّر دائماً كيف كنا نشاهد التلفزيون معاً،
كيف كنت أضع قدمي في حضنك ويأتي الهرّ
ويجثم فوقها. ألا تبدو هذه صورة عن الطمأنينة،
عن نجاح العلاقة؟ إذن لمَ لم تستمر أكثر من ذلك؟

لأنها كانت حلماً.


Twitter: @ketab_n

المحتويات

لويز غليك ٥

من «المجموعات الشعرية الأربع الأولى» (١٩٩٥) ٩

سعادة ١١

بورتريه ١٣

الحديقة: ١٤

١ . الخوف من الولادة ١٤

٢ . الحديقة ١٦

٣ . الخوف من الحب ١٧

٤ . الأصول ١٩

٥ . الخوف من الدفن ٢١

الرسائل ٢٢

فرس ٢٤

أشجار الدردار ٢٦

المعاتبة ٢٧

صيف ٢٩

رجل جالس ٣١
العودة ٣٣
قصيدة ليلية ٣٤
المرآة ٣٥
أسطورة ٣٦
صباح ٣٩
حزنُ امرأة بالغة ٤١
ظلّ صقر ٤٣
الجبل ٤٤
السلال ٤٦
انتصار أخيل ٥٢
من «ماراثون» : ٥٤
١ . رسالة أخيرة ٥٤
٢ . أغنية النهر ٥٦
٣ . اللقاء ٥٨
٤ . أغنية العقبات ٦٠
٥ . أغنية ليلية ٦١
٦ . البداية ٦٤
العناق ٦٦
حلم الحداد ٦٧
وعاء البورسلان ٦٩

إخلاصاً للجوع: ٧١
١ . من الضواحي ٧١
٢ . الجدّة ٧٣
٣ . إيروس ٧٥
٤ . إنحراف ٧٦
٥ . أشياء مقدّسة ٧٨
قطار شيكاغو ٧٩
عيد الشكر ٨٠
حياتي قبل الفجر ٨٢
صورة ساكنة ٨٤
قصيدة حب ٨٥

من «أرارات» (١٩٩٩) ٨٧
مقدّمة الكورس ٨٩
فانتازيا ٩١
رواية ٩٣
يوم شاق ٩٦
عاشقة الأزهار ٩٨
أرملتان ١٠٠
اعتراف ١٠٣
جبل أرارات ١٠٤

قشتالة ١٠٦
الذكرى الأولى ١٠٩
قدّيستان ١١٠
الشرفة ١١٢
الهدهدات ١١٤
ثلج ١١٦

من «القزحية المتوحشة» (١٩٩٠) ١١٩
الزنابق البيضاء ١٢١
الزنبقة الذهبية ١٢٣
الزنبقة الفضية ١٢٥
الجرو الأحمر ١٢٧
القزحية المتوحشة ١٢٩
تهويدة ١٣١
صلوات مسائية ١٣٣
صلوات منتصف الليل ١٣٥
ريح متقهقرة ١٣٧
زهرة الثلج ١٣٩

من «المروج» (١٩٩٧) ١٤١
أمسية هادئة ١٤٣
حفل استقبال ١٤٥

أمثولة الملك ١٤٨
ليلة بلا قمر ١٥٠
المروج ١٥٢
حزن تسيرس ١٥٥
قرار عوليس ١٥٦
أمثولة الحيوان ١٥٨
منتصف الليل ١٥٩
السيرانه ١٦١
عناد بنيلوب ١٦٤
الحلم ١٦٦

لمحة عن المؤلفة

ولدت لويز إليزابيث غليك في الثاني من أبريل ١٩٤٣ نيويورك سيتي ونشأت في لونغ آيلاند، وتلقت تعليمها في كلية «ساره لورنس» وجامعة كولومبيا. تأثرت مباشرة بتجربة الشاعر ستانلي كونيتز. عام ١٩٩٢ حصلت على جائزة «بوليتزر» المرموقة عن مجموعتها «القزحية المتوحشة»، كما حصلت قبل ذلك على جائزة «ناشيونال بوك كريتيك سيركل» عن مجموعة «انتصار أخيل» (١٩٨٥). في العام ٢٠٠٣ اختيرت «شاعرة أمريكا المتوجة» بعد الشاعر بيلي كولينز. تدرّس غليك الأدب في «وليامز كولج»، وتعيش حالياً في كامبردج، ماساتشوستس.

من أعمالها الشعرية: «البكر» (١٩٦٨)، «البيت في مارشلاند» (١٩٧٥)، «الحديقة» (١٩٧٦)، «وجه يدنو» (١٩٨٠)، «انتصار أخيل» (١٩٨٥)، «أرارات» (١٩٩٠)، «القزحية المتوحشة» (١٩٩٢)، «المروج» (١٩٩٧)، «فيتا نوفا» أو «الحياة الجديدة» (١٩٩٩)، «العصور السبعة» (٢٠٠١)، «أفيرنو» (٢٠٠٦).

لمحة عن المترجم

وُلد **سامر أبو هواش** عام ١٩٧٢ بصيدا - لبنان. درس الإعلام والصحافة بالجامعة اللبنانية ١٩٩٦. كاتب وصحافي. له العديد من الأعمال الشعرية والترجمات الأدبية، منها: **الحياة تُطبع في نيويورك**، شعر، بيروت ١٩٩٦؛ **تحية الرجل المحترم**، شعر، بيروت ١٩٩٩؛ **تذكّر فالنتينا**، شعر، بيروت ٢٠٠١؛ **جورنال اللطائف المصوّرة**، بيروت ٢٠٠٣؛ **نُزل مضاء بيافطات بيض**، شعر، بيروت ٢٠٠٥؛ **عيد العشاق**، رواية، بيروت ٢٠٠٥؛ **السعادة**، رواية، بيروت ٢٠٠٧. من ترجماته: يان مارتل، **حياة باي**، رواية، ٢٠٠٦؛ جاك كيرواك، **على الطريق**، رواية، ٢٠٠٧؛ حنيف قريشي، **بوذا الضواحي**، رواية، ٢٠٠٧.

هذا الكتاب

غداً خريف.
سنجلس معاً على الشرفة
وننظر إلى الوريقات التي يبست
تحملها الرياح في سماء القرية
كالرسائل التي سنحرقها،
واحدة بعد الأخرى، كلّ في منزله.







